

الإنذار الإلهي في القرآن الكريم

من خلال بعض آياته

((دراسة موضوعية))

تأليف
مثـــنى علوان الزيدي

إشراف
أ.د. عبد العزيز حاجي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

إهداء

إلى كل من قرأ آيات الإنذار فاعتبر وأخذ بيد الآخرين لسلوك درب الصالحين



شكر وتقدير

أشكر وأُقدر وأثمن موقف فضيلة أستاذي العزيز

عبد العزيز حاجي ((زاده اللّه عزاً))

لما قدم لي من نصائح لا تقدر بثمن على الرغم من ضيق وقته وشغله

فاجزه يا رب عني وعن طلبة العلم خير الجزاء

واجعلني من السائرين على خطاه

انك أنت السميع العليم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وجنده، ومن اهتدى بهديه، واتبع نهجه وسار على دربه، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو أصل الدين، ومنبع الصراط المستقيم وهو أجلُّ الكتب وخاتمها، فقد أودع الله فيه سبحانه علم كل شيء، فهو أصل العلوم منه تستمد وعليه فيها يعتمد.

لهذا اهتم علماء أمتنا بخدمته ودراسته وتفسيره من أجل استدرار كنوزه وكشف أسراره فكثرت تفاسيرهم وتنوعت أنواعها فمنها النوع التحليلي ومنها الموضوعي إلى آخر تلك الأنواع، لكل منها خصائص اختصت بها وميزات امتازت بها عن غيرها، فحصل من كل نوع ما حصل من الفوائد الجمة والكنوز العظيمة.

وعندما شرفني ربي جلا وعلا بإكمال دراستي في الدراسات العليا بكلية أصول الدين وتحديداً في قسم التفسير وعلوم القرآن كلَّفني أساتذتي بالتعرف على أنواع التفاسير من خلال الدراسة العملية المعتمدة على جانب البحوث إلى جانب الدراسة النظرية على مدار السنة التمهيدية، وعندما كتبت بالأمس القريب في التفسير التحليلي أقف اليوم على عتبة التفسير الموضوعي بإشراف أستاذي الدكتور عبد العزيز حاجي (حفظه الله) لأبدأ بالعمل ضمن مادة قاعة البحث.

فاخترت هذا الموضوع (**الإنذار في القرآن الكريم**) والذي أسأل الله أن يعينني لتقديمه على المستوى المنهجي العلمي الراقي إنه سميع مجيب.

سبب اختياري الموضوع:

ولابد من الإشارة إلى أن أسباب اختياري للموضوع تنحصر في عدة أمور وهي:

١- ما كان من حث وتحفيز واقتراح من فضيلة الشيخ إبراهيم الطائي حفظه الله وهو

أحد الدعاة والمشايخ في العراق.

٢- إعجابي الشديد وحبي لمادة التفسير وعلوم القرآن الكريم.

٣- افتقار المكتبات الإسلامية لأي كتاب تكلم عن هذا الموضوع بعد أن بحثت في جميع المكتبات واستفسرت من أغلب المشايخ ومنهم أستاذي المشرف فلم أجد مرجعاً واحداً أعتمد عليه قد كتب في موضوع الإنذار.

٤- أهمية الموضوع وخاصة لما رأيت من استهانة بحدود الله وحرماته في العصور الأخيرة.

٥- وفرة كتب التفاسير المصادر والمراجع الأُم التي أعانتني في بحثي هذا وعلمي المسبق بذلك.

وأما **خطة البحث** فسأعرضها بإيجاز:

قسمت البحث بعد الإهداء والشكر إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أولاً: المقدمة وتتضمن:

- أسباب اختيار الموضوع.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

ثانياً: التمهيد: تكلمت فيه عن قيمة الإنذار في الأزمنة المختلفة.

ثالثاً: محتوى البحث الداخلي وينقسم إلى :

المبحث الأول: استعراض لبعض آيات الإنذار في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: حقيقة الإنذار والحكمة منه وتنحصر في مطالب.

- المطلب الأول: حقيقة الإنذار الخاص والعام.
- المطلب الأول: الحكمة من الإنذار وفائدته.

المبحث الثالث: إنذار الأنبياء لأقوامهم وقصصهم المنذرة ومطالبه كالتالي:

- المطلب الأول: إنذار النبي هود لقومه.
- المطلب الثاني: إنذار النبي نوح لقومه.
- المطلب الثالث: إنذار النبي شعيب وقصة أصحاب الأيكة.

- المطلب الرابع: قوم لوط عليه السلام.
- المطلب الخامس: قوم صالح عليه السلام.

المبحث الرابع: طرق الإنذار الإلهي وتنوعها ومطالبه كالاتي:

- المطلب الأول: الإنذار بالخزي الدنيوي.
- المطلب الثاني: الإنذار بحياة البرزخ.
- المطلب الثالث: الإنذار بوقفة القيامة.
- المطلب الرابع: الإنذار بنار جهنم وفيه :

- مصير الكفرة.
- أكلة الربا.
- المرتدين.
- المشركين والمكذبين بآيات الله.
- المنافقين وأصحاب السيئات الذين أحاطت بهم خطيئاتهم.

أما منهج البحث فهو كالآتي:

١- قمت بجمع الآيات القرآنية كاملة التي اختصت بالإنذار ثم صنفتها وقسمتها إلى عناصر وعرضت بعضها في المبحث الأول.

٢- قمت بتفسير الآيات من كتب التفاسير المعتمدة بلا تكلف وضم المعاني المتصلة بالموضوع اتصالاً وثيقاً.

٣- استشهدت في بعض الأحيان بقليل من الأحاديث النبوية عند الحاجة.

٤- عزوت الآيات لسورها مع ذكر رقم الآية مباشرة.

٥- خرّجت الأحاديث وأوعزت لها من كتب التخريج المعتمدة وتعليقات العلماء عليه.

٦- ترجمت الأعلام من كتب التراجم والطبقات بذكر أهم ما عرفوا به.

٧- عرضت نتائج البحث بخاتمة ختمت فيها البحث.

٨- قمت بعمل الفهارس جميعها كفهرس الآيات والأحاديث والأعلام والأشعار إن وردت وكل هذا حسب الترتيب الأبجدي ثم عرضت محتوى البحث وموضوعاته بفهرس الموضوعات.

ثم أني أحببت أن أشير إلى أني واجهت صعوبات جمة ومنها :

١ــ لم اكتب في التفسير الموضوعي من قبل فكانت تجربة جديدة بالنسبة لي.

٢ــ لم استطع أن استأنس بكتاب أو مرجع واحد كان قد تكلم في هذا الموضوع إلا الإرشادات التي حصلت عليها من فضيلة الشيخ عبد العزيز حاجي المشرف على بحثي والتي كانت قيمة ونافعة.

٣ــ بعدي عن أهلي ووطني ووالديَّ وأحبابي الذين رأيت اثر ابتعادي عنهم واضحاً في هذه المرحلة.

لكن... في هذا المقام لا يسعني إلا أن أدعو الله أن يعلمني ما ينفعني وينفعني بما علمني ويزدني علماً ويجعلني من السائرين على درب علمائنا الصادقين أنه أقرب مسئول وأكرم مأمول ولا حول ولا قوة لي إلا بالله ومنه أستمد العون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مثنى علـــوان الزيدي

الأحد ٢٥/٥/٢٠٠٨م

٢٠/جمادى الأولى/١٤٢٩هـــ

Muthnaal_zaidy@yahoo.com



تمهيد

قيمة الإنذار في جميع الأزمنة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين ونسأله تعالى أن يرينا الحق حقاً فنتبعه، والباطل باطلاً فنتجنبه والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير نبي اصطفاه ورحمة للعالمين أرسله، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد وردت آيات كثيرة جداً تنذر الناس بأنواع من النذر التي تكلمنا عنها، خوفاً عليهم من العاقبة المخزية ورحمة بهم لأن يكونوا من خير الأمم فتكون عاقبتهم مفرحة ومصيرهم خير مصير.

وهذه الآيات لها قيمة عظيمة من حيث أنها تبطل حجج المحتجين فتناديهم ألم ننذركم ألم نرسل لكم الرسل، فلا يكون لهم عندئذٍ حجة عندما يقفون منتظرين الجزاء العادل اما إلى جنة الخلد أو إلى نار جهنم أجارنا الله منها.

ثم إنَّ قيمتها تعلوا رقياً عندما ينسى الناس ذلك ويبتعدون عن دينهم فتختلف حينها الحياة بأسرها وطبيعة العيش، فيقل الخير ويكثر الشر بسبب قلة الخيّرين وكثرة الآخرين، الذين سبب لهم هذا هو ذلك الابتعاد عن الدين الذي فيه سعادة الدارين، ففي هذه الحالة المتردية يأتيهم الإنذار من الله ﷻ المصاحب في أسلوبه المختلف وطياته، التذكير بالرهبة، المختلفة باختلاف ما يستخدمه القرآن لرهبتهم وإخافتهم من مواصلة المضي في طريقٍ سبّبه الابتعاد عن الدين، فلا نرى حينها إلا مساهمةً عالية لهذا الإنذار في التغيير الذي سيحصل ممن كان في غفلة وانحراف.

وهكذا نرى في المباحث اللاحقة كيف أن الأمم التي لم تراع للإنذار اهتماماً كانت امثولة للعقاب الدنيوي والاخروي، لأنها واصلت الغفلة بتعمد،والانحراف والظلال بتقصُد.

وها هم الناس يواصلون حتى في يومنا هذا الخروج عن الدين وتركاً للشريعة وإهمالاً للقرآن وإنذاره بل يزيد في هذه الأيام ويكثر مع الأسف... لكن!!! ستبقى الآيات المنذرة وسيبقى العذاب قائماً لمن تجاهله واستمر في ضلاله وكفره وعصيانه، فنسأل الله أن لا يجعلنا

منهم، ويجعلنا ممن ثبت أمامهم،وكان من المبلغين لإنذار رب العالمين في قرآنه الكريم على لسان سيد المرسلين ﷺ وبارك عليه.

دمشق – ركن الدين – الاثنين
جمادي الاولى – ١٤٢٩هـ
٢٠٠٨/٥/٢٦م

المبحث الأول

استعراض لبعض من آيات الإنذار في القرآن الكريم

لابد لي من استعراض لبعض آيات الإنذار في القرآن الكريم وذلك للإطلاع على طريقة الإنذار الإلهي من خلال تنوع الخطاب الحالي[1] :

١- قال تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤]. فقد أنذر الله ﷻ بهذه الآية الكريمة كل عاصٍ ومتعدٍ لحدودِ الله بنار جهنم خالدا فيها مع العذاب المتضاعف.

٢- يقول ﷻ: ﴿ يوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثا ﴾ [النساء: ٤١].

٣- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [النساء: ٤٧].

٤- قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥].

٥- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء: ١١٩].

٦- قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥].

٧- قوله الله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٠].

٨- قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

٩- قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ٥١].

---

(١) أقصد بتنوع الخطاب الحالي: هو حال الخطاب الإلهي المختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وحال المخاطَبين.



١٠- قول الله: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

١١- قوله جلا وعلا: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨].

١٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠].

فهذه بعض آيات الإنذار في القرآن الكريم وليس جلها فانها كثيرة جدا، ثم اني أحببت أن أقتصر عليها خوفاً من الإطالة ورغبة في الشروع بمباحث الإنذار في القرآن الكريم.

ثم إن ذكر النار وصفتها هي نوع من أنواع الإنذار الإلهي فقال تعالى في بعض هذه الآيات الكريمة:

١- ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

٢- ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٣- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس: ٢٧].

فهذا ذكر لبعض الآيات المنذرة للناس أن لا يسيروا على نهج هؤلاء لأن هذا هو حالهم ومصيرهم.

وسأتكلم عن طرق الإنذار المختلفة في القرآن الكريم في المباحث اللاحقة ان شاء الله تعالى.



المبحث الثاني

حقيقة الإنذار والحكمة منه

المطلب الأول: حقيقة الإنذار بنوعيه الخاص والعام.

الإنذار مصدر، تقول أنذره أي خوَّفه وحــذره وفي التنــزيل العزيــز: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ ﴾.

ويقال أَنْذَرتَهُ إِنْذاراً، والنُذُرُ جمع نذير ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٧] وهو المُنْذِر[١].

وحقيقته في القرآن أن الله جلَّ جلاله استعمله ضمن سلسلة آيات تخويفية ترهيبية مقابلة لآيات ترغيبية كثيرة حثت على طاعته والانقياد لأمره.

فأتى على شكل إخبار فيه تخويف[٢]:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت: ١٣] وقوله ﷻ: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [الليل: ١٤].

ويمكن أن يكون الإنذار تحذيراً من فعل محرم ما أو اجتناب واجب ما.

وقد أعلن الله ﷻ أن إرسال النبي ﷺ هو لإنذار الناس جميعاً وأن عمله هو إنذارهم﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد: ٧] ثم يأمره الله ﷻ بأن يعلن هذا ويذكره أمام القاصي والداني فقال ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾ [ص: ٦٥].

والإنذار هو جانب مهم من جوانب الدعوة استدعى أن يكون الرسول ﷺ مرسلاً من أجله.

لكن لا بد أن يكون الإنذار في تخويف كما أسلفنا يتسع زمانه للاحتراز فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان الإنذار إشعاراً فقد خاصيته وهي الإنذار[٣].

ثم أن المنذر هو الذي تولد عنده الخوف على الآخر فأنذره كما أنه لا يأخذ على إنذاره الآخر شيئاً كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾.

إضافة إلى أن كل إعلام مقترن بتهديد هو إنذار وليس كل إعلام إنذار كقول الله ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا

---

(١) لسان العرب، (٥/٢٠٠)، مادة نذر.

(٢) المفردات في غريب القرآن (١/٤٨٧)، مادة نذر.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، بتصرف بسيط (١/١٨٤).



ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٤-٧] (١).

ثم لابد من الإشارة إلى أن الإنذار في القرآن الكريم يُطلق إطلاقين أحدهما: عام لجميع الناس كقول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ [المدثر: ١-٢] وقول الله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

وهذا الإنذار العام هو الذي قصر على المؤمنين قصراً إضافياً في قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ [يس: ١١] لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

والإنذار الثاني: إنذار خاص بالكفار، لأنهم هم الواقعون فيما اُنذروا به من النكال والعذاب،وهو الذي يذكر في القرآن مبيناً أنه خاص بهم دون المؤمنين كقول الله: ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم: ٩٧] وقوله ﷻ: ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٢] (٢).

وأسلوب القرآن الكريم هذا في أنه منذر مرة وبحال ومكان معين ومبشر مرة، أي مرغب مرة ومرهب وهو أسلوب نادر ومهم في تربية المجتمعات، فالمجتمعات أياً كانت الآن إن سُيِّرت على أسلوب الله في ترغيبها وترهيبها استقامت فيها الحياة، وإن تركت لعنان الترغيب فقط لطغت وتكبرت، ولو كان الترهيب والتخويف آخذاً كل حياتها لما وقعت الأخطاء فتعطلت عندها ديمومة الحياة التي خلق الله الإنسان لخلافة أرضها ولانهمك الناس في عبادة لا تنقطع وصيام لا ينفك وغير هذا كثير مما يفسد الحياة، فسبحان الله رب العالمين في هكذا طريقة لإنذار المنذرين.

أما إنذار النبي ﷺ لعشيرته فلا ينافي الإنذار العام، لأن إنذار النبي ﷺ لعشيرته داخل فيه.

المطلب الثاني: الحكمة من الإنذار الإلهي والفائدة:

إن الله ﷻ كما أسلفت أرسل رسوله ﷺ لكي ينذر الناس ويبلغهم ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾

(١) ينظر أضواء البيان للشنقيطي، (٤/٢).

(٢) ينظر أضواء البيان ايضا، (٥/٥).

ولابد لهذا الأمر المهم الذي أرسل النبي ﷺ من أجله من حكم وفوائد سأعرض بعضاً منها في هذا المطلب وهي:

الحكمة الأولى: لكي يصل تبليغ النبي ﷺ للعالمين جميعاً وفي هذا قال الله ﷻ: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

الحكمة الثانية: لكي يصل تبليغ النبي ﷺ لكل من بلغه القرآن أنه أصبح محجوجاً به فقال الله: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

الحكمة الثالثة: لكي تصل تعاليم القرآن لكل حي يعيش على هذه الأرض،قال تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ [يس: ٧٠].

الحكمة الرابعة: لإنذار أقوام تذرعوا بأنهم اتبعوا آبائهم و لم يبلغهم أو ينذرهم أحد،قال الله: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ [يس: ٥-٦].

الحكمة الخامسة: للإعلان والتعريف بأن الله ﷻ رحمن رحيم، لكن بأسه شديد سبحانه،ففي سورة الكهف: ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ [الآية: ٢].

الحكمة السادسة: لإنذار المخاصمين أن الله ﷻ أقوى منكم ومع هذا ينذركم عسى أن تتبعوا نهجه وسبيله الذي هو خير لكم وانفع، قال ﷻ: ﴿ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم: ٩٧].

الحكمة السابعة: جَبَلَ الله ﷻ الناس على حب الدنيا وزينتها وإتباع الأجمل والتهاون في العاقبة والمآل ونسيان يوم الرحيل، لذلك حذرهم الله ﷻ وأنذرهم بالوعد والوعيد والوقوف أمام الله ﷻ وأنذرهم من إتباع الشيطان وأهوائه وملذات الحياة الدنيا من أجل سعادتهم في الدارين فقال ﷻ محذراً ومنذراً إياهم ومعرضاً حال من كان هذا دأبه فقال: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأحقاف: ٢٠].

الحكمة الثامنة: التهيؤ للقاء الله ﷻ والاستعداد للوقوف بين يدي الله والعمل على نيل مصير أهل الجنة والابتعاد عن مصير أهل النار ولذلك يذكرهم الله بهذا الموقف رجاء الاستعداد فقال: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨].

فهذه بعض الفوائد والحكم التي استنتجتها من خلال الآيات الكريمات التي أشـــارت

لها.

المبحث الثالث

إنذار الأنبياء لأقوامهم مع استعراض لبعض القصص

وليس فقط أن النبي ﷺ أنذر قومه، بل كذلك الأنبياء عليهم السلام جميعاً أنذروا أقوامهم أشد الإنذار لأنهم كانوا يسيرون في طريق الفساد والأهواء، وسأعرض بعض من هؤلاء الأنبياء وقصصهم في إنذارهم لقومهم من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأول : إنذار النبي هود لقومه.

يقول ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ إلى نهاية الآيات الكريمة [من سورة الأحقاف: ٢٠].

فالآية الكريمة هذه عرضت لنا صورة من صور الإنذار النبوي،حيث ذكرت لنا إنذار أحد الأنبياء لقومه وهو نبي الله هود عليه السلام، وخاطبت النبي ﷺ، اذكر يا محمد لقومك أهل مكة هوداً إذ أنذر قومه، حذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا به، فهو عليه السلام، قد أنذرهم وقال لهم أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب، وهكذا جميع الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده، كلهم منذرون نحو إنذاره[(١)].

ولكن بعد هذا لم يتعظوا بهذا الإنذار وقالوا أجئتنا لتأفكنا أي تزيلَنا عن آلهتنا بضرب من الكذب ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾ فها هم يعاجلون العذاب عن الشرك ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في وعدك، وأجابهم بأنه منذر ولا يعلم حتى وقت نزول ا لعذاب.

فعندها أتتهم سحابة العذاب التي ظنوا أنها سحابة مطر فإذا هي ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تدمر كل شيء بأمر ربها.

رداً على تجاهلهم الإنذار واستهزاءهم بالرسل وثباتهم على الباطل والكفر.

المطلب الثاني: سيدنا نوح عليه السلام:

---

(١) التفسير الكبير، للرازي (٢٤/٢٨).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾ [نوح: ١] من قبل أن يأتيهم عذاب أليم. حيث صرحت الآية على أن نوح أُرسل لإنذارهم،وأنذرهم من مغبة عبادة غير الله وطاعة المخلوق وعصيان الخالق بفعل ما نهى الله ﷻ عنه وترك ما أمر به.

ثم إن من اتبع رضوان الله وانتفع بإنذارنا سيغفر الله له ذنبه: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾ وسيطيل زمنه وعمره: ﴿ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾.

ولكنهم هل انتفعوا بهذا الإنذار؟، هل خافوه؟ هل حذروا؟ هل رهبهم؟ الجواب كلا.

بل فروا من هذه الدعوة وهذا الإنذار ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ ﴾ حصل التمرد والعصيان منهم وتهاونهم بإنذار الله ﷻ لهم بل زادوا على ذلك بالاستكبار ﴿ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ﴾ [نوح: ٧] استكبروا عن الاتعاظ وعن سماع دعوة الحق، والأدهى من ذلك أنهم اتبعوا الدنيا وزخرفها وزينتها،حيث قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ ﴾ وهذا الكلام على لسان نبينا نوح عليه السلام.

ثم ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ ﴾ وأعلنوا أن الإنذار الإلهي لهم لا يزيحهم عن ترك أصنامهم وعبادتها من دون الله.

فهل بعد الإنذار الإلهي ومقابلته بهذا الكفر من شيء؟ نعم.

إنه العذاب الإلهي لكل هؤلاء ولكل من اتبع نهجهم وطريقهم، حيث أغرقهم الله في الدنيا وادخر لهم ناراً خالدين فيها بالآخرة[1].

---

(١) القصة كاملة في كتب التفاسير بتوسع ينظر مثلاً تفسير الرازي (١٩٩/٣٠).



المطلب الثالث: أصحاب الأيكة (قوم شعيب).

أما أصحاب الأيكة فكذلك ظلموا وطغوا بشركهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان،فأُرسل إليهم شعيبا عليه السلام منذراً، قال ابن عباس[١] رضي الله عنه: (لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته إياهم: ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾.

وهذا إنذار لهم أنهم إن لم ينتهوا عما يفعلون من المعاصي والموبقات سيؤول مصيرهم إلى مصير قوم لوط بالدمار والعذاب، لكنهم لم ينتهوا واستهزئوا بهذا الإنذار النبوي من (خطيب الأنبياء)[٢] عليه السلام، بل تجاوزوا على نبيهم وقالوا له: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ [هود: ٩١]. فهددهم بعد رفضهم الإنذار وتهديدهم لمن أراد لهم النجاة وقال لهم: ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾ [هود: ٩٣].

وهذا هو مصير من لم يتعظ بالإنذار الإلهي والتربية الربانية والتوجيه النبوي فماذا كان بعد ذلك؟.

قال تعالى في القرآن الكريم يصف لنا ما حصل لهم بعد عداوتهم المنذرين وتجاهلهم إنذار المرسلين:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾ [هود: ٩٤-٩٥].

فهذا هو حالهم وحال الأقوام الذين أعرضوا عن إنذار الله عز وجل،لهم الخزي في الدنيا وفي الآخرة سوء القرار.

---

(١) الصحابي الجليل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وهو أحد العبادلة المكثرين للحديث، كف بصره آخر حياته ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، توفي سنة (٦٨هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء (٣/٣٣).

(٢) قال الرازي في تفسيره: (وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذكر شعيب عليه السلام قال: « ذاك خطيب الأنبياء»، ينظر تفسير الرازي، (١٨/٣٨)، والخبر صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/٦٢٠) برقم (٤٠٧١)، عن الإمام محمد بن إسحاق.



المطلب الرابع: قوم لوط عليه السلام:

والقصة الرابعة من الأقوام المنذَرة بالأنبياء هي قصة قوم نبي الله لوط عليه السلام، الذين كانوا يأتون الفاحشة بإتيانهم الرجال دون النساء والعياذ بالله، حيث قال الله: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١].

فأرسل الله إليهم نبيه لوطاً لينذرهم من الاستمرار بهذه الأفعال القبيحة ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ فأنذرهم وحذَّرهم بأن يعودوا لرشدهم لكنهم قالوا: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ وقالوا ذلك كما يقول صاحب التفسير الكبير: (على سبيل السخرية بهم وتطهرهم من الفواحش كما يقول الشيطان من الفَسَقَة لبعض الصُلحاء إذا وعظهم، أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهِّد)[١].

وبعد أن أنذرهم فصدوه وحذرهم فنهروه واستهزئوا به أتاهم العذاب،وهذا سبيل كل من لم يستمع الإنذار و لم يكن من أهل الاعتبار. فقال عز وجل: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ووصف الله هذا المطر بقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ أما عذابهم فقد قال عنه الإمام الرازي في التفسير الكبير: (أنه عز وجل عذبهم بثلاث أنواع من العذاب أحداها الصيحة الهائلة المنكرة، وثانيها أنه جعل عاليها سافلها، وثالثها أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل)[٢].

وصوَّر هذا العذاب ربُّ العزة حيث قال في سورة الحجر الآية (٧٣-٧٥): ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ ثم تابع الله قوله بعد آية واحدة فقال: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ فالمتوسمين الذين أعلن الله أن الآية الكريمة هي عبرة لهم هم الذين يكون فيهم أثراً من

---

(١) ينظر تفسير الرازي، (١٤/١٣٩).

(٢) ينظر المصدر السابق، (١٩/١٦٠).



الخير، تقول توسمت في فلان خيراً وقيل هم المتفرسين وقيل المتفكرين وقيل المعتبرين.

أما المؤمنين فهم معتبرون أيضاً ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وهم الذين آمنوا بالله وصدَّقوا بالأنبياء والرسل، واتعظوا فما يعلمون عند وقوفهم على قصص القرآن والأمم السابقة إلا أنها منذرة لهم أيضاً ولكل من أراد أن يسير على نهجهم فيعتبرون بها لا محالة[(١)].

المطلب الخامس: قوم نبي الله صالح عليه السلام:

ومن هذه الأقوام المنذَرة هم قوم صالح عليه السلام،وهؤلاء القوم كانوا يعيشون في نعيم مع عصيانهم لله عز وجل وعبادتهم الأصنام، فبعث الله إليهم صالحاً وهو منهم فقال لهم: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود: ٦١]. فأمرهم بعبادة الله وحده وترك الإشراك به لأن الله هو المنعم عليكم المتفضل وإن الله لَسامع ومجيب لتوبتكم واستغفاركم، ثم حذرهم وأنذرهم أشد تحذير من الناقة التي هي المعجزة المثْبتة لنبوته عليه السلام حيث أنهم سألوه على دعوته لهم ان تظهر لهم معجزة وآية وأن تخرج لهم من صخرة معينة ناقة و بالفعل حصلت المعجزة هذه عند دعوته لرب العزة فحذرهم وأنذرهم من أن يمسوها بسوء فعندها سيأخذهم عذاب عظيم، ولكنهم تجاهلوا إنذار نبيهم واستهزئوا بعقاب ربهم فعقروها وذبحوها فعندما يتجاهل الناس إنذار الأنبياء من ربهم وتحذيرهم لهم ويواصلوا فواحشهم أو يزيدوا عليها يأتيهم عذابه سبحانه فهو القادر على كل شيء، وبعدها أنذرهم بالعذاب الذي سيأتيهم بعد ثلاثة أيام، يقول ابن عباس رضي الله عنه [(٢)]: ((أنه تعالى لما أمهلهم تلك الأيام الثلاثة فقد رغبهم في الإيمان وذلك لأنهم لما عقروا الناقة أنذرهم صالح عليه السلام بنـــزول العذاب فقالوا وما علامة ذلك فقال تصير وجوهكم في اليوم الأول مصفرة، وفي الثاني محمرة،وفي الثالث مسودة، ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم قد اسودت أيقنوا بالعذاب فاحتاطوا واستعدوا للعذاب فصبحهم اليوم الرابع وهي الصيحة والصاعقة والعذاب، يقول عز وجل: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

---

(١) ينظر تفسير الرازي (١٩/١٦٢)، بتصرف بسيط.

(٢) سبقت ترجمته، (ص ١٥).



ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [هود: ٦٥-٦٨] [1]

فهذه خمسة قصص من القرآن الكريم التي نــزلت في أقوام تركت وتجاهلت إنذار ربها بلسان أنبيائها وإنما عرضها ﷻ هنا لنا لا لكي نتمتع بقراءة القصص للأمم السالفة وإنما هي الإنذار بعينه لنا من أن نسير في طريق سار عليه هؤلاء من قبلنا فهلكوا بأشد أنواع العذاب الإلهي الذي يصح أن يبقى عبرة لكل معتبر وإنذارا لكل متبصر يقول ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

فهل سنكون أمة محمد ﷺ من الأمم المعتبرة بعد أن قصّ الله علينا قصص هذه الأقوام في القرآن الكريم المنذِر لنا فننجوا أم سنترك تجاهلاً إنذار الله لنا فنهلك بعذاب منه كما هلكوا وغضب عليهم ربنا وسخط..؟.

(١) ينظر الآيات (١٤٠-١٥٩) من سورة الشعراء والآيات (٦٥-٦٩) من سورة هود.

المبحث الرابع

طرق الإنذار الإلهي وتنوعها في القرآن الكريم

المطلب الأول: الإنذار بالخزي الدنيوي:

أنذر الله ﷻ كثيراً وتوعّد بالخزي الدنيوي وهذا التوعد هو إنذار شديد من الله ﷻ، ومن ذلك ما ذكره تعالى في سورة المائدة الآية (٣٣): ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وهؤلاء هم الذين حاربوا الله ورسوله وحاربوا أولياءه (المسلمون المتقون)، فجعل الله محاربتهم تعظيماً، وأصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق باللصوصية وإفسادهم في الأرض فساداً.

فجعل الله ﷻ عقوبتهم وعقوبة أمثالهم أن يُقتَّلوا أي قصاصاً من غير صلب إن أفردوا القتل، أو يصلبوا أي مع القتل إن قَتَلوا وأخذوا المال، وللفقهاء خلاف في أنه يقتل ويصلب أو يصلب حياً ويترك، أو يطعن حتى يموت أو تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال و لم يُقْتَلوا، أو ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع إن اقتصروا على الإخافة، وقيل: للإمام أن يتخير بهذه العقوبات[(١)].

فهذه الآية أعظم إنذار لمستحقي هذه العقوبة ولمرتكبي هذه الجرائم البشعة، والساعين في إفساد الأرض أياً كانوا هم المفسدين وأياً كان نوع الفساد.

وهو أعظم إنذار بالخزي في الدنيا والذل والفضيحة، فهل بعد هذا الإنذار اعتبار للمفسدين أو أمثالهم من المجرمين؟.

ثم إن الله ﷻ قال في آية أخرى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌ

(١) تفسير البيضاوي المسمى معالم التنـزيل، (٣٢٠/٢) والأمر بتفصيله في كتب الفقه .



وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤].

وهذه الآية وعيد وتهديد، فأما الوعيد فهو توعد الله جل شأنه لهؤلاء الذين خربوا بيوت الله وأماكن عبادة المسلمين وهم قريش كما قال الإمام ابن عباس[(١)]: ((إن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة الحرام، فأنزل الله هذه الآية)).

وقيل هم النصارى الذين كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه، وهذا القول مروي عن الإمام مجاهد[(٢)].[(٣)]

فالمهم هو أن الله ﷻ توعّد هؤلاء الذين فعلوا ما فعلوا بالمساجد بهذه العقوبة، فهو إنذار (لمن فكّر أو يفكّر بأن يحارب بيوت الله عز وجل مقر عبادة المؤمنين المتقين) أن الخزي والعار والندم سيكون في الدنيا قبل أن يكون في أي وقت آخر، وهذا ما رأيته واقعاً كيف أن الله ﷻ أخزى وأذل بقوته هؤلاء الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم عندما أحرقوا وهدّموا (١٠٢) مسجداً من مساجد بغداد عاصمة الرشيد في عام (٢٠٠٦)م (١٤٢٧)هـــ من الشهر (٢ شباط) وأفسدوا في الأرض بقتلهم لـــ (٣٥٨) أو ما يقارب هذا العدد من أئمة وخطباء ودعاة ومؤذنين في العاصمة فقط علاوة على قتل (٤٠,٠٠٠) من الذين ينتمون لأهل السنة والجماعة في العراق، رأيت بعدها ورأى الجميع كيف بدأوا يتحاربون بينهم ويقتل بعضهم بعضاً طمعاً في الدنيا وزينتها فأخزاهم الله ﷻ وأذلهم، بل أصبح الطرف منهم يحتمي بالعدو المحتل لبلده من أجل أن يقضي على الطرف الآخر الذي هو من قومه وجلدته، بل قرأنا وسمعنا القصص عن عذاب الله لهم ما لا تخطر على بال احد في شدة قساوة العاقبة الأليمة، فهل بعد هذا الخزي من خزي وهل بعد هذا العار من ذلة، وكل هذا لأن هؤلاء وأمثالهم لم يعتبروا بمن سبق و لم يقرأوا كتاب الله قراءة إنذار في ما نذر واعتبار فيما قص علينا وحذّر.

وأما الآيات التي أنذرت بالخزي والعار الدنيوي كثيرة.

---

(١) سبقت ترجمته (ص ١٥).

(٢) الإمام مجاهد بن جبر المكي مولى السائب المخزومي روى عن ابن عباس فأكثر وعن ابن عمر وعائشة وأبي هريرة قال عنه قتادة: أعلم من بقي بالتفسير في المدينة ، توفي سنة (١٠٢هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء، (٤٤٩/٤).

(٣) ينظر الدر المنثور، (٢٦٤/١) للإمام السيوطي.



فللظالم كذلك خزي في الدنيا أليم حيث قال ﷻ وهو يتكلم عن الظالمين في سورة الزمر: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية: ٢٦].

وقال ﷻ منذراً الذين يضلون عن سبيل الله وطريقه وصراطه ومحذراً من يتشبه بهم أو يكرر فعلهم: ﴿ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٩].

والآيات المنذرة بالخزي الدنيوي كثيرة في القرآن الكريم وقفت عند البعض منها تجنباً التطويل.

المطلب الثاني: الإنذار بحياة البرزخ.

ذكر الله ﷻ في قرآنه الكريم حياة البرزخ وهي الحياة التي يعيشها الإنسان في قبره بعد الموت، وذكره ﷻ لها هو إنذار وتخويف فعندما عرض لنا ربنا في كتابه أو على لسان نبيه الكريم ﷺ عذاب القبر ما هو إلا إنذار لأُولي الاعتبار من أن يسوقوا بأنفسهم إلى هذا العذاب الذي لا يمكن أن يُتصور هوله وأن يتحمل فزعه حيث يقول الرب سبحانه وهو يصف عذاب آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ فهذا إثبات لعذاب القبر كما في مفاتيح الغيب وحصول الحياة في البرزخ[١].

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو في آخر صلاته « وأعوذ بك من عذاب القبر »[٢].

وقوله ﷺ: « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران »[٣] والأخبار في ذلك متواترة.

وقال ﷻ في المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ [التوبة: ١٠١].

قيل العذاب الثاني هو عذاب القبر قاله مجاهد[٤] وقتادة [٥] وغيرهم من الأئمة[٦].

وقد ذكر في السنة النبوية أيضاً على لسان نبينا ﷺ من عذاب القبر وكيفيته الكثير، ذكر عن هوله وسؤال الملكين فيه وعذاب العصاة بداخله وضمته وغير ذلك اكثر، ونقل في تفسير القرآن العظيم في تفسير قوله الله أمتّنا اثنتين وقول الله ﷻ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ ﴾.

قال أبو هريرة[١] رضي الله عنه: ((إذا وضع – يعني الكافر – في قبره فيرى مقعده من

---

(١) التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب للرازي، (١٣٣/٤).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، باب التشهد في الآخرة، (٢٨٦/١) برقم (٧٩٨) والإمام مسلم في صحيحه باب الذكر بعد الصلاة، (٤١٠/١) برقم (٥٨٤).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٣٩/٤)، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ورواه أبو سعيد الخدري ﷺ.

(٤) سبقت ترجمته (ص ٢٠).

(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عُزيز، السدوسي، أبو الخطاب، البصري ولد عام (٦١هـ) مفسر حافظ وكان ضريراً وأكمه، رمي بالقدر قال الإمام أحمد: أحفظ أهل البصرة، انظر الأعلام (١٨٩/٥) وتذكرة الحفاظ، (١١٥/١).

(٦) التفسير الكبير (١٣٣/٤-١٣٥).

النار فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً قال فيقال قد عمرت ما كنت معمراً قال: فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها)).

وعن عائشة[٢] رضي الله عنها أنها قالت: ((ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سود أو دهم، حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[٣].

فهذا إنذار إلهي في القرآن الكريم وفي سنة سيد المرسلين أنذرنا ﷻ في القبر والعذاب فيه للعاصي المبتغي غير سبيل رب العالمين وفي ذلك عبرة وذكرى للعالمين.

---

(١) أبو هريرة، الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدَوسِي، كناه النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الكنية عندما رآه يحمل هرة في كمه، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ كان من أحفظ الصحابة للحديث وأكثرهم رواية مات بالمدينة وقيل بالعقيق وحمل إليها، انظر (الإصابة)، (٢٠٢/٤).

(٢) سيدتنا عائشة بنت الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ، وأمها أم رومان، تزوجها النبي ﷺ وهي بنت (٦) سنين ودخل بها سنة (٩)، أم المؤمنين كانت أفقه الناس وأعلم الناس وقال عنها النبي ﷺ: « عائشة زوجتي في الجنة، أكثرت في رواية الأحاديث ماتت في ١٧ رمضان عام ٥٧ أو ٥٨ ينظر الإصابة في معرفة الصحابة (٨- ١٦)

(٣) الحديثين (هذا) و (الذي قبله عن أبي هريرة) رواهما الإمام أحمد في مسنده، (باب حديث السيدة عائشة رضي الله عنها)، (١٥٢/٦) برقم (٢٥٢٣٠) وقال يقرضانه بالضاد بدلاً من الصاد وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (إسناده حسن) في باب ما جاء في القبلة، (٥٥/٣)، وينظر تفسير ابن كثير (٢٥٦/٣) فقد أورده أيضاً.

المطلب الثالث: الإنذار بوقفة القيامة:

وقد أنذر القرآن الكريم من وقفة يوم القيامة عندما يعرض الناس للحساب، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، تلك الوقفة التي ترى فيها الناس حفاةً عراةً غُرْلاً ينتظرون جزائهم العدل من الله ومصيرهم أإلى جنة النعيم حيث الحياة الخالدة؟ أم إلى جهنم حيث النار المحرقة والعذاب المستمر، يقول الله ﷻ في سورة مريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الآية: ٣٩].

ويوم الحسرة بلا شبهة هو يوم القيامة، وهو اسم من أسمائها، حيث وصف الله في هذه الآية أنه في هذا اليوم يكثر التحسر من أهل النار، وقيل يُتَحَسر أيضاً في الجنة إذا لم يكُن من السابقين الواصلين إلى الدرجات العالية.

والحسرة: هو الغم والضيق، فأنذر الله ﷻ في هذا اليوم لكي يسعى الخلق لئلا يكونوا من هؤلاء المتحسرين فيه[(١)].

فهناك يومٌ يَتحسر الناس فيه تحسراً شديداً المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه ويُقضى الأمر ويتصادر الفريقان إلى الجنة والنار[(٢)].

ثم قال عز وجل في سورة الحج: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ٢].

وهو وصف ليوم القيامة، ذلك الأمر العظيم الذي سيشاهده الناس بأمِّ أعينهم، وهذه المشاهدة ستوجب الخوف الشديد....كيف لا وقد ذكر الله ﷻ من أهوال ذلك اليوم أموراً ثلاثة في هذه الآية وحدها، وهي تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تذهلها زلزلة الساعة، زلزلة القيامة،والذهول: هو الذهاب عن الأمر مع دهشة، ويحصل هذا الذهول وذهابها عن إرضاع ولدها حال الإرضاع وهي ملقمة ولدها ثديها، فتنتزعه من فيه لما يلحقها من الدهشة، الله اكبر.

(١) ينظر التفسير الكبير، (١٨٧/٢١)، بتصرف بسيط.
(٢) تفسير البيضاوي بتصرف بسيط (١٧/٤).

والأمر الآخر هو أن تضع كل ذات حملٍ حملها، والمعنى أنها تسقط ولدها لتمام أو لغير تمام من هول ذلك اليوم، وقيل تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام، وألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، فسبحان الله من تصويره العجيب المخيف لهول هذا اليوم، أما الأمر الثالث الذي سيحصل في هذا اليوم وقد ذكر في هذه الآية هو أن ترى الناس سكارى وما هم بسكارى أي سيكون الناس سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق، ولكن ما أرَقَهُم من هول عذاب الله تعالى هو الذي أذهب عقولهم وطير تمييزهم، وقال ابن عباس(١): (ونراهم سكارى من الخوف) (٢).

وهكذا نرى الله سبحانه وتعالى إنما يصوّر هذا التصوير العجيب لهذا اليوم الرهيب ما هو إلا لينذر الناس من أن يكونوا ممن سيأتي في هذا اليوم وهو مفلس من الأعمال الصالحات والأفعال المنجيات بترك الطاعات لرب الأرض والسموات، وأنذرهم ليختاروا أن يكونوا من الآمنين من هول هذا اليوم وفزعه وهم المؤمنون المتقون الذين اتبعوا رسول ربهم وأوامر خالقهم وساروا على طريقه المستقيم، اللهم اكتبنا منهم يا أرحم الراحمين.

ثم يقول الله ﷻ في آية أخرى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، فهذه المرّة سيكون الأمر مختلفاً في وقفة القيامة فسيكون هناك من يشهد علينا وعلى عملنا في دنيانا، والشاهد سيكون هذا العضو الذي تمتلكه فلم يفارقك في حياتك وهاهو اليوم يشهد عليك أمام خالقك.

فعن أبي سعيد الخدري(٣) ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان يوم القيامة عرِّف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ثم يدخلهم النار »(٤).

---

(١) سبقت ترجمته (ص١٥).

(٢) تفسير الرازي، (٦/٢٣).

(٣) أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي ، اشتهر بكنيته، استُصغر بأُحد وشهد ما بعدها من الغزوات ،من أكثر الصحابة رواية للحديث، قال الخطيب: (كان من أفضل الصحابة ومات سنة ٧٤ ، ينظر (الأعلام) للزركلي (٨٧/٣).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين ،(٦٤٨/٤) برقم (٨٧٩٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد.

ولهذا قـــال ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ [النبأ: ٤٠].

فقد صرَّح الله ﷻ في هذه الآية أنه أنذر عباده هذا اليوم وهو يوم القيامة يوم يتمنى الذين كفروا أن يكونوا تراباً من شدة الحال وهول العذاب وموقف القيامة.

ثم قال ﷻ في سورة أخرى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر: ١٨] ففي هذه الآية الكريمة أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن ينذر الناس من يوم الآزفة، الذي هو اسم آخر من أسماء يوم القيامة،تقول أزف الأمر إذا دنـــا وحضـــر لقول الله ﷻ في آيـــة أخـــرى: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النجم: ٥٧-٥٨].

والمقصود منه التنبيه والإنذار بأن يوم القيامة قريب، ووصف الله تعالى في الآية الكريمة الخوف في ذلك اليوم بصفات رهيبة وهي أن القلوب وقفت في الحناجر فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها، ما للظالمين فيه من قريب منهم يشفع لهم بل تقطعت بهم الأسباب من كل خير كما صوّر لنا ربنا ذلك في سورة أخرى حيث قال: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وهذا يحصل كله من هول الموقف وفزعه وشدته ورهبته كما قال ﷻ: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا ﴾ [الدخان: ٤١].

فما هذه الآيات الإلهية المنقلة لنا حال الوقفة عند قيام الساعة إلا إنذار إلهي لمن اعتبر به، وإعلام بأن هذا اليوم - القائم لا محالة - جدير بأن يستعد له الإنسان ويتعظ وإن لم يكن من متعظ فالحال هذا والمصير ذاك لا يتبدل ولا يتغير وسيكون ويحصل.. فالله المستعان.

المطلب الرابع: الإنذار بنار جهنم:

لقد أنذر الله ﷻ جميع البشر من النار، وأن المعذبين فيها قسمهم القرآن الكريم على صنوف عديدة سنذكرها في مطلبنا هذا وهم كالتالي:

أولاً: مصير الكفرة.

يقول الله ﷻ محذراً عن مصير الكفرة ومنذراً الآخرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المائدة: ٣٦-٣٧].

وهذا بيان واضح من الله ﷻ يبين فيه للناس مصير الكفرة وحالهم وعاقبة من لم يعمل في حياته لاتقاء هذه العقوبة إلا وهي نار جهنم وحَرّها وعذابها ولهيبها وليس فقط لم يعمل وإنما غرّته الحياة الدنيا فانغمر وأنغر بها وبأموالها وزخرفها وزينتها والعياذ بالله، وفي هذه الآية تمثيل للزوم العذاب لهم فإنه لاسبيلَ لهم إلى الخلاص منه، فإذا رفعهم لهب النار إلى فوق يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون من النار لقوة النار ودفعها للمعذبين، ثم بعد ذلك الإقامة الدائمة لهم فيها لا خروج بعدها ولا محيد لهم عنها[1].

وهكذا القرآن يعلن : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

فحينها يقال لهم هذا، تقريعاً وتوبيخاً،ولهذا كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يتورع عن كثير من طيبات المأكل والمشرب ويتنـــزه عنها ويقول إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ فهؤلاء ﷺ عرفوا لِمَن أنزلت هذه الآيات ولماذا، وأيقنوا كما يوقنون بوجود أنفسهم إن الله لا يخلف وعده، فهناك صرَّح القرآن ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ فجُوزوا من جنس عملهم، فكما متَّعوا أنفسهم واستكبروا عن إتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفزعة أجارنا

(١) ينظر التفاسير، تفسير الرازي وابن كثير في تفسيرهم لهذه الآية من سورة المائدة.

الله سبحانه من ذلك كله[١].

ويخبر المولى تبارك وعلا عن مصير من يأكل الربا الذي حرمه الله في شرعه وتنـــزيله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

والربا المنهي عنه كما هو معروف طلب الزيادة على المال والتفصيل فيه موجود في كتب الفقه، فأنذر الله ﷻ - بعد تحريمه - آكليه بالنار وأنهم خالدين فيها، بل وصفهم بأنهم سيقومون يوم القيامة من قبورهم متخبطين، والتخبط هو الضرب على غير استواء ويقال للرجل الذي يتصرف في أمر ولا يهتدي فيه أنه يتخبط تخبطا عشواء، وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل أو جنون لأنه كالضرب على غير الاستواء في الإدهاش، وقيل يُبعث آكل الربا يوم القيامة مجنوناً، وذلك كالعلامة المخصوصة فعرفه جميع أهل الموقف، وقيل إن الناس إذا بعثوا من قبورهم خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا والعياذ بالله فإنهم يقومون ويسقطون، وذلك لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الإسراع ولا يقدرون، وكذلك فإن آكل الربا لا شك أنه يكون مفرطاً في حب الدنيا متهالكاً فيها كما نرى في أهل القروض والسلف الربوية في أيامنا هذه،فإذا مات على ذلك الحب صار ذلك الحب حجاباً بينه وبين الله تعالى، فالخبط الذي كان حاصلاً في الدنيا بسبب حب المال أورثه الخبط في الآخرة وأوقعه في ذل الحجاب، وهذا تأويل قريب فيه بلاغ وإنذار لكل مجيب [٢].

وللمرتدين نصيب كبير من عذاب الله يوم القيامة ففي سورة محمد ﷺ يقول الله سبحانه منذراً ومخبراً من يتلوا القرآن من أمة خير الأنام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) تفسير ابن كثير، (١٦١/٤)، سورة الأحقاف، وقارن التفاسير كالرازي والبيضاوي وغيرها بتصرف بسيط.

(٢) بتصرف تفسير الرازي (٧٨/٧) وقارن التفاسير.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٧].

فاخبر القرآن الكريم أن الشيطان اللعين يسوِّل لابن آدم تركه دين محمد رجاء إغوائه وإضلاله، والبعض من أتباعه سمّاعون لهم طائعون فيخبر الله أن من سوَّل له الشيطان وأملى له فترك دين الإسلام كُرهاً منه وارتداداً للكفر ستأتيهم الملائكة حال وفاهم وقبض أرواحهم فتستخرجها (أي تستخرج الروح) من الجسد بالعنف والقهر والضرب، والعياذ بالله.

ثم مأواهم جهنم كما في سورة البقرة: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وقبل أن يخلَّد في نار جهنم يَحبُط عمله في الدنيا لقول الله في نفس السورة ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾.

فجعل في الدنيا إحباط العمل وفي الآخرة الخلود في نار الجحيم، وإنَّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين

رابعاً: المشركون والمكذبون بآيات الله:

هؤلاء المشركون أشركوا بالله وجعلوا له أنداداً فقال الله فيهم: ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وقال عز من قال: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ٨].

فهذا الإنسان إذا مسه بلاء في جسده من مرض أو عاهة أو شدة في معيشته وجهد وضيق دعا ربه، يقول استغاث بربه الذي خلقه من شدة ذلك ورغب إليه في كشف ما نزل به، منيباً تائباً إليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به وإشراك الآلهة والأوثان معه في عبادته راجعاً إلى طاعته ثم إذا خوَّله نعمة منه، كعافية فكشف عنه ضره وأبدله بالسقم صحة وبالشدة رخاء نسي ما كان يدعو إليه من قبل، ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر وجعل لله أنداداً يعني شركاء، أشباهاً وأمثالاً، في طاعة الشيطان وعصيان رب السموات سبحانه، فعندها نادى الرب رسولَه محمد ﷺ قل يا محمد لفاعل ذلك تمتع بكفرك بالله قليلاً إلى أن تستوفي أجلك فتأتيك منيتك إنك من

أصحاب النار أي إنك من أهل النار الماكثين فيها [(١)].

أما المكذبون بآيات الله فقد استكبروا عن الإيمان بها وبالدلائل الدالة على المسائل التي هي أُصول الدين في آيات الله سبحانه، فاستكبارهم هذا هو ترفُّع بالباطل كما في التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فهؤلاء قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأعراف: ٤٠-٤١].

فالعقوبة الأولى: أن أبواب السماء لا تفتح لهم أي لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله كما قال ابن عباس[(٢)]، وقيل لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء وتفتح لأرواح المؤمنين فقط، ويدل على صحة هذا التأويل حديث الروح التي تصعد إلى السماء وروح الكافر وكذلك لا تنــزل عليهم البركة والخير وهذا أعظم وعيد وأشد إنذار.

والعقوبة الثانية: لا يدخلون الجنة ويكفي بها من عقوبة، وشبه الله ﷻ الدخول لمثل هؤلاء في الجنة كدخول الجمل الذي جسمه من أعظم الأجسام بثقب الإبرة التي هي أضيق المنافذ وهذا الولوج محال، فلما وقَّف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان هذا شرطاً محالاً وثَبتَ في العقول أن الموقوف على المحال محال فوجب أن يكون دخولهم الجنة ميئوسا منه قطعاً وهذا هو جزاء أولئك الذين وصفهم الله بأبشع وصف وهو الإجرام ثم أنهم سيعذبون بأنواع وألوان مختلفة من العذاب في نار جهنم وهذه هي العقوبة الثالثة[(٣)] المحتوية على عقوبات مختلفة باختلاف ألوان العذاب أجارنا الله منها.

توعّد الله سبحانه المنافقين، محذراً غيرهم من سلوك سبيلهم في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

وهكذا يكون مصيرهم يوم القيامة الدرك والعياذ بالله وهو قعر الشيء،والمراد بالدرك الأسفل أقصى قعر في جهنم لأنها طبقات، فالدرج إذا كان بعضها فوق بعض والدرك إذا

---

(١) ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٣/١٩٨)، والتفاسير الرازي والبيضاوي وابن كثير.

(٢) سبقت ترجمته (ص ١٥).

(٣) التفسير الكبير، (١٤/٦٣-٦٧)، وقارن التفاسير.

كان بعضها أسفل من بعض [١].

والأمر المذهل هو أن المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه مثله في الكفر وأضاف إليه نوع آخر من الكفر وهو الاستهزاء بالإسلام وبأهله، وبسبب أنهم كانوا يظهرون الإسلام فيمكنهم الإطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين، فلهذه الأسباب الواقعة والحقيقية جعل الله عذابهم أزْيَدَ من عذاب الكفار.

إضافة إلى أنهم لن يجدوا نصيراً وهذا تهديد لهم وإنذار لغيرهم كما أسلفنا، والآيات القرآنية بحقهم كثيرة جدا وواضحة.

أما أصحاب السيئات فهم يجتمعون معهم في نار جهنم كما أخبر الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يونس: ٢٧].

وأُغشيت: يعني أُلبست قطعاً من الليل، أي سواداً من الليل مظلم والعياذ بالله جزاء سيئاتهم ومعاصيهم واستمرارهم عليها وامتناعهم عن التوبة والندم،وهؤلاء أحاطت بهم خطيئاتهم كما قال ﷻ: ﴿ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٨١].

ويدخل فيهم كل من خرج عن أوامر الله سبحانه واتّبع هوى نفسه وابتعد عن حبله المتين وصراطه المستقيم، و لم يحذر مما حذَّر الله منه و لم يُنذَر مما أنذر الله به واستهان بذلك كله، وهكذا يدخل فيهم كل عاص مستكبر كمانعي الزكاة مثلاً وآكلي أموال الناس بالباطل، والأشقياء، وكذلك الذين ركنوا إلى الظلمة والمجرمين الذين نصروا هؤلاء بإجرامهم وسفكهم بل حتى الفسقة والمسرفين،وخير دليل على كل هذا هو تصويره سبحانه لآيات القرآن التي وقفنا عند بعضها تجنباً الإطالة كتصوير الله لمصير الأقوام التي كفرت واستهانت بإنذار أنبيائها، وكتصوير الله ﷻ لفرعون ومصيره تحذيراً وإنذاراً لأمثاله، وكعرض الله للمشاهد المخيفة المهولة لنار جهنم، وتكلمه بنظم دقيق عن الصنوف المختلفة من العذاب في آياته الكريمة كشَوي الوجوه وغلي البطون وأنواع الأطعمة المختلفة كالزقوم وضريع ثم

(١) ينظر التفاسير.

الإخبار عن النار، فهل سيكون ذلك إنذارً لمن تفكَّر وإبصاراً لمن تدبّر. اللهم اجعلنا ممن أبصر واعتبر يا أرحم الراحمين...



الخـــــــــاتمـــــــــة

الحمد لله على فضله وكرمه وإحسانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد وصلت إلى نهاية المطاف في بحثي هذا وارتأيت أن أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- إن علم التفسير هو أهم العلوم لأنه علم كتاب الله تبارك وتعالى وأجلها وأعظمها وعليه تعتمد العلوم الباقية ويشملها.

٢- وبما أنه متعلق بكلام الله فهو يحتاج من المفسر إلى شديد ورع وخوف من الله عند تفسيره وخدمته.

٣- إن القرآن الكريم فيه ما أنذر وفيه ما بشَّر ووجدت أن آيات الله المنذرة أكثر من المبشرة فيجب الحذر عند قراءته والعمل به والاعتبار بمن سبق.

٤- اطلعت في بحثي هذا على المصادر والمراجع الأم في التفسير لأستدرر منها ما يتعلق ببحثي فاستفدت عندها مهارة البحث والكتابة والتنقيب فيها.

٥- تعلمت كيف أكتب في الجديد مما لم يكتب فيه لكي يكون طريقاً ممهداً لخدمة تراثنا العظيم.

٦ـ إن العلم لا يأتي إلا بالتعلم فعندما لم أجد أحدا كتب في موضوع معين أتوكل على الله وابتدئ العمل فيه وهذه هي همة طالب العلم الحقيقية التوكل لا الإتكال والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

٧ـ إن السبيل لسعادة الأُمَم والشعوب جميعا هو النهج الإلهي والدين الرباني الإسلامي وهو الدستور الحقيقي ففيه سعادة الدارين وان الابتعاد عن هذا النهج وان تحصلت فيه من السعادة القليل فهي السطحية الزائفة التي تنذر بسخط الله ونقمته.

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم في طريق السير لطلب العلم، وإن كان في البحث من عبارة صحيحة فمن فضل الله وإن كانت من زلة أو تقصير فمن نفسي والشيطان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين